مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويا

العدد الثالث
1986

- صدى الأدب العربي في الدعوة الإسلامية
- مخطوطات ليبية
- وصول الإسلام إلى ساحل مليبار
- التيارات الفلسفية وعلاقتها بالصراع على الحكم

إيحاء اللفظ بالمعنى
دراسة في فقه اللغة

الأستاذ
محمد هلال المزوغي

تمهيد في معنى الدلالة :

كانت اللغة العربية وستبقى ميداناً واسعاً وخصيباً لدراسات وبحوث المتخصصين في أسرار حروفها وألفاظها وتراكيبها المختلفة وفي معانيها ومدلولاتها الكامنة في تلك الألفاظ والتراكيب ، وهي أي اللغة على وفرة المعاجم في ألفاظها واشتقاقاتها ، وتنوع المؤلفات في نحوها وصرفها وآدابها لا تزال جوانب كثيرة منها تحتاج إلى البحث الجاد والدراسة العلمية الموثقة ، وأحد تلك الجوانب ما أطلق عليه فقهاء اللغة : « الصلة بين اللفظ والمدلول » ، ويقصدون به ذلك الإيحاء أو الصورة

الذهنية التي تصحب اللفظ عند النطق به أو تسبق إلى الذهن حال التفكير في ذلك اللفظ . فنحن نسمع الصوت المتصل والحركة المزعجة أحياناً حين ننطق بلفظة (أزيز) وما تصرف منها ، أو تناهت إلى أسماعنا من أي طريق آخر ، فالأزيز : صوت الرعد ، وهو صوت غليان القدر ، وهو صوت الريح ، إلخ . . .

ولعل دلالته على الحركة العنيفة هو سر اختياره في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزّاً ﴾[1] أي تزعجهم إزعاجاً ، وهو أقوى من (الهزّ)[2] لقوة الهمزة على الهاء ، كما نسمع الصوت أو نكاد نسمعه في الألفاظ الآتية :

أولاً ـ مصدر الفعيل ، مثل : الوجيف ، وهو حركة القلب[3] ، يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾[4] والرجيف : وهو حركة الأرض ، والصهيل : وهو صوت الفرس ، والهديل : وهو للحمام ، والهدير : للجمل ، والزئير : للأسد ، والحسيس : صوت النار ، والحفيف : للشجر ، والخرير : للماء[5] . .

ثانياً ـ مصدر الفعلان الدال على الحركة والتقلب والاضطراب ، مثل : الطيران ، والرجفان : وهو حركة الأرض ، والوثبان ، والقفزان : من الوثب والقفز ، والغليان ، وغير ذلك كثير . .

وثالثاً ـ مصدر الفعال ، مثل : الصراخ ، والعواء ، والبغام ، والرغاء ، وهما للإبل ، والضباح : صوت الثعلب ، والثغاء : صوت الغنم ، والخوار : للبقر[6] . .

رابعاً ـ مصدر الفعللة ، مثل : الزلزلة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والدحرجة ، فلا يكاد المرء ينطق بهذه الألفاظ وما تصرف منها إلاّ ويلحظ معنى

---

(1) سورة مريم : الآية 84 .
(2) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ط 1961 ص 16 .
(3) اللسان ، مادة : وجف .
(4) سورة النازعات : الآية 8 .
(5) فقه اللغة للثعالبي : ط . الدار العربية للكتاب 1981 ص 209 ص 213 .
(٦) المصدر السابق : ص 209 .

الصوت والحركة والاضطراب، دون أدنى تأمل ، مما يؤكد الصلة الواضحة بين هذه الألفاظ ومعانيها . . وهي ظاهرة لغوية هامة تضاف إلى مآثر العربية الكثيرة ، وتؤكد إن صحت كلياً أو جزئياً قدرة اللغة على نقل الأحاسيس والمشاعر الانسانية عن طريق الألفاظ الحية ، أو تقريبها إلى الحس والمشاهدة على الأقل . .

ونشأت تلك الظاهرة على الأرجح في العصر الأول لتدوين اللغة ، وجمعت قواعدها على أيدي العلماء العرب ، أمثال الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وابن دريد ، وابن جني وغيرهم ، مستعينين في الاهتداء إلى تلك الصلة بين اللفظ ومعناه بعوامل شتى أبرزها :

1 ـ القرآن الكريم الذي حفل بالألفاظ الرائعة ، الموحية بمعانيها السامية تمام الإيحاء ، والتي صورت مواقف الغيب في الحياة الآخرة من بعث ، وحشر وحساب ، وجنة ونار ، أصدق تصوير . .

2 ـ الحس اللغوي الدقيق القادر على فهم مشكلات الألفاظ وخفايا المعاني . .

3 ـ البيئة العربية الخالصة ، الناطق أهلها بالفصحى في شئون حياتهم كافةً دون تكلف أو عناء . .

4 ـ الإحاطة بألفاظ اللغة وحفظ أساليبها شعراً ونثراً . .

وضوح الدلالة في المصادر والأسماء :

ظهر بالتأمل من خلال ما سبق من الأمثلة في تعريف الدلالة ، أن المصادر الحسية أدل على معانيها من سواها ، وإن كنا لا ننكرها في سائر المشتقات الأخرى ، خاصة في تلك الأسماء ذات المدلولات المحددة غالباً . . من ذلك مصدر (الفعلان) المشار إليه سابقاً ، والمفيد لمعنى الحركة والتقلب كاللمعان والغليان . . على أن هذا (الفعلان) لا يفيد معنى الحركة والتقلب في كل أحواله ، ذلك لأننا لا نلحظ هذا المعنى في لفظة (الحيوان) مصدراً من الحياة[7] ، وبه فسر قوله تعالى : ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾[8] .

---

(7) المصباح المنير : مادتا حيو ، موت ومفردات الراغب: ط 1961 ، سورة العنكبوت : الآية 64 .

(8) سورة العنكبوت الآية 64 .

وقد ظهر لي بعد الدراسة المبنية على التأمل والملاحظة أن المصادر سالفة الذكر إذا عدل بها من المصدرية إلى الإسمية تلاشت الصلة بينها وبين معانيها الموضوعة لها أصلاً ، من ذلك (الفعلان) اسماً ، كاللهبان : الاسم من الالتهاب ، والصخدان : شدة الحر ، وفرس صلتان : النشيط ، والشبهان نوع من الشجر ، وغطفان ، قبيلة من قيس[9] ، وبردان : اسم موضع : والعلجان : شجر ، ورمضان : اسم للشهر ، وأسماء أخرى جاءت على هذا الوزن . .

ومثل الفعلان أيضاً الفعيل المفيد لمعنى الصوت غالباً إذا كان مصدراً كما أشرنا فيما سبق إلى : الهديل والصهيل ، وتضعف هذه الدلالة فيه أو تنقطع تماماً إذا سمي به مثل : النبي[10] ، السخيّ ، القصيّ ، عديّ ، البهيّ ، الجلي ، القوي ، العلي ، الحبيّ : ومعناه السحاب ، الحجيّ : أي خليق ، الفريّ : الأمر العظيم ، المطي : الرواحل . .

ويظهر أن (الفعيل) اسماً شائع في المعتل كما يبدو في الأمثلة المذكورة ، وكما قيل في (الفعلان والفعيل) اسمين فإن (الفعال) إذا سمي به أيضاً كان كذلك ، فلا نسمع فيه أثراً للصوت الموضوع له في الأصل ، مثل : ماء أجاج : ملح ، أوار : شدة الحر، زؤان: الطعام، صداء: حي من اليمن، الجفاء: ما رمى به الوادي، العجاب:الذي تجاوز حدّ العجب[11] ، التراث ، الجناح : الإثم ، صهاب : إسم موضع وكذلك القول في مصدر (الفعللة) إذا سمي به كالثعلبة ، والقحطبة ، والعرفجة من أسماء الرجال ، والحنجرة : الحلقوم ، والسندرة : ضرب من الشجر[12] . . وأمثلة أخرى كثيرة على هذا الوزن . .

وتظهر الصلة بين اللفظ ومعناه كذلك في الأسماء ذات الدلالات المحددة ، مثل : جمل ، فرس ، بقرة ، قلم ، حائط ، جبل ، بحر ، نهر ، في حين أنها تضعف في الأسماء غير محددة الدلالة ، كالحيوان إسماً، إذ لا يقفز إلى الذهن أي مدلول محدد لهذا اللفظ إلاّ تصوراً إجمالياً للذوات الأعجمية غير العاقلة . . واعتقد أن اللفظ الأصلي الموضوع للمعنى المحدد أقوى دلالة على مفهومه مما يرادفه من

---

(9) ديوان الأدب للفارابي (تحقيق أحمد مختار عمر) ط 1974 ص20 ج 2 .

(10) المصدر السابق : ج4ص 51 .

(11) اللسان ، مادة : عجب .

(12) ديوان الأدب للفارابي ج 2 ص 31 .

الألفاظ الأخرى ، وربما كان ذلك راجعاً إلى تداوله على ألسنة الناس وشيوعه في عرفهم ، فالعسل مثلاً أدل على معناه من الضرب المرادف له ، واللبن الحامض : أوضح في الدلالة على معناه من الصرب المرادف له ، والشحم : أقوى دلالة على معناه من الترب المرادف له ، وعمود البيت : أوضح في الدلالة على معناه من الصقب المرادف له ، والدلو : أدل على معناه من الغرب المرادف له . . كذلك القول في المشترك وهو اللفظ الواحد ذو المعاني المتعددة ، فإن المعنى الأصلي للفظ أسبق إلى الذهن عند الإطلاق من سائر المعاني الأخرى، فالعين للباصرة أسبق في الدلالة على معناها في عين الماء ، وعين الشمس ، والذهب ، وغير ذلك . .

ولعل الألفاظ الدالة على الألوان في صلتها بمعانيها هي مثل المصادر والأسماء فإن الأخضر والأحمر والأبيض ، سرعان ما تتراءى لنا مدلولاتها حين تجري على ألسنتنا ألفاظها أو نفكر في النطق بها ، كما أن الأشكال بوجه عام توحي لنا بمعانيها العامة ، فلفظ صغير مثلاً يوصي لنا بمفهومه وهو ما نتصوره من صغر الحجم ، كذلك ألفاظ الكبير والضخم والعظيم كلها توحي لنا بمعانيها ومدلولاتها المطابقة لألفاظها ، وذلك هو سرّ الصلة بين اللفظ والمدلول . .

مواضع الدلالة عند اللغويين العرب :

أشرت في بداية هذا البحث إلى أن للغويين القدامى الفضل في إدراك ما بين اللفظ ومعناه من صلة . . وفي طليعتهم الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين وبحور الشعر ، وهو من علماء القرن الثاني الهجري ، الذي ينبىء النص المنسوب إليه أن الأفعال عنده مواضع للدلالة على معانيها وأوضح في الإيحاء بمدلولاتها من سواها ، حيث قال : « كأنهم (أي العرب) توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً ، فقالوا : صرّ ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً ، فقالوا : صرصر[13] » .

ولعل مصادر هذه الأفعال أقوى دلالة على معانيها من أفعالها ، فالصرير والصرصرة أدل على الصوت من فعليهما لوقوع ياء المدّ بين الراء المكررة في المصدر الأول ، وتكرار حرفا الصاد والراء في المصدر الثاني ، وإن كان هذا النص وحده

---

(13) الخصائص لابن جني (تحقيق محمد علي النجار) ط . دار الكتاب العربي بيروت ج 2 ص 152

لاختصاره غير محيط بمذهب الخليل في هذه الظاهرة . .

وأما سيبويه تلميذ الخليل فظاهر كلامه أن المصادر بوجه عام أقوى في الدلالة على معانيها من سواها ، وخاصة مصدر (الفعلان والفعيل والفعال والفعللة) في حين أن مصدر (الفعل) في اعتقادي يساوي هو أيضاً تلك المصادر في الإيحاء بمعناه والدلالة عليه ، وذلك كالجري ، والقطع والضرب ، إذ توحي تلك المصادر بالحركة المتصلة والقوية أحياناً ، وأشد إيحاءً بالمعنى منها مصدر (الفعل) كالخبب : السير السريع[14] ، والصخب : الجلبة والصوت والصياح . .

وربما كان اهتمام سيبويه بالمصادر واعتبارها أقوى إيحاءً بمعانيها الأحداث كسائر البصريين راجعاً إلى مذهبه في أصلية المصدر وعدّ ما سواه فرعاً عنه ومشتقاً منه . . وهذا نص من كلامه :

« من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النزوان والنقزان[15] والقفزان ، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه » ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه ، ومثله الخطران واللمعان لأنهما اضطراب وتحرك ، ومثل ذلك اللهبان والوهجان لأنهما تحرك الحَرِّ فإنهما بمنزلة الغليان . . ولعل هذا النص على اختصاره يقدّم لنا صورة واضحة لمذهب سيبويه في الصلة بين اللفظ والمدلول . . وكنت قد لاحظت وأنا أقرأ النص كاملاً شديد عنايته بهذه الظاهرة وحرصه على إثباتها والتماسها في المصادر السابقة باستعمال الملاحظة والتأمل ، كما لاحظت أنه قد أهمل الصلة بين بعض الأسماء ومعانيها ، خاصة تلك الأسماء ذات المفاهيم المحددة ، والتي توحي بمعانيها عند النطق بها أو التفكير فيها إيحاءً تاماً ، وذلك مثل ما أشرت إلى : جمل وفرس وبحر . . . الخ ، شأنها في ذلك شأن المصادر الحسية التي كانت موضع اهتمام سيبويه وهو يعرض لهذه الظاهرة اللغوية .

هذا ؛ ويعد عباد بن سليمان[16] الصيرمي أحد علماء اللغة في عصر المأمون أشد اللغويين السابقين واللاحقين فيما أعلم تمسكاً بالصلة بين اللفظ والمدلول ، حتى بلغ في ذلك حد الإسراف والمبالغة ، باعتماده على التوهم وتخيّل المناسبة بين كل لفظ

---

(14) المصباح المنير ـ تاج العروس : مادة ، خبب ، صخب .

(15) الانصاف في مسائل الخلاف ج 1 ص 235 لابن الانباري تحقيق محمد محي الدين .

(16) المزهر للسيوطي ج 1 ص 16ص 46 ط . دار الفكر للنشر والتوزيع .

ومعناه ، فقال بالصلة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ، إذا سئل عن لفظة (إذغاغ) فأجاب : « أجد فيه يبسا شديداً وأراه الحجر » .

ومما يؤكده الواقع المبني على التجربة والتأمل أن بين بعض الألفاظ ومعانيها من الصلة الوثيقة ما لا يمكن دفعه أو إنكاره ، في حين أن هناك ألفاظاً أخرى تبعد الصلة بينها وبين معانيها أو تنقطع تماماً ، وإلاّ فأي صلة محددة نلحظها في بعض الاسماء مثل : إبراهيم ، هاشم ، عطاء ، كرم ، إحسان ، فهم ، سعادة ، نعمة ، إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر .

وفي القرن الرابع الهجري ألف أبو الفتح عثمان بن جني كتابه المعروف بالخصائص الذي أفرد فيه جانباً للحديث عن الصلة بين بعض الألفاظ ومعانيها وذلك في ثلاثة أبواب :

1 ـ الاشتقاق الأكبر .

2 ـ تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني .

3 ـ إحساس الألفاظ أشباه المعاني .

وأرى أنه من المفيد أن نسجل هنا نصاً ملخصاً من الباب الأخير[17] ، لاتصاله بموضوع بحثنا اتصالاً وثيقاً حيث قال :

«وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو : الزعزعة ، القلقلة ، الصلصلة ، القعقعة ، الصعصعة ، الجرجرة ، القرقرة ، ومن ذلك قولهم : خضم وقضم ، فالخضم لأكل الرطب ، والقضم للصلب اليابس ، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حَذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ، ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ، قال سبحانه : ﴿ فيهما عينان نضاختان ﴾[18] فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف ، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه »[19] . .

---

(17) الخصائص لابن جني ج 2 ص 133 .

(18) سورة الرحمن : الآية 66 .

(19) الخصائص ج 2 ص 137 .

ومما لاحظته على آبن جني الأمور التالية :

1 ـ حماسه لهذه الظاهرة اللغوية حتى أنه نقل الاجماع عليها مكتفياً بذكر الخليل وسيبويه وأستاذه أبي علي الفارسي . .

2 ـ أنه قد لاحظ الصلة بين اللفظ والمعنى في الأفعال والمصادر ، في حين أن الخليل قد لاحظها في الأفعال وسيبويه لاحظها في المصادر .

3 ـ لإيمان ابن جني بهذه الظاهرة فإنه حشد للبرهنة عليها طائفة كبيرة من الأمثلة أصاب في اختيار الكثير منها ، وتكلف التماس المناسبة في بعضها الآخر ، حتى إنه وقع في التناقض وتعميم الأحكام أحياناً ، من ذلك حكمه بضعف الخاء في خضم وتصاريفها ، وقوتها في نضخ وتصاريفها ، وحكمه بضعف الحاء في نضح . . في حين أنه قد وجدت قوة الحاء ظاهرة في أمثلة كثيرة منها : أشح كفرح : غضب غضباً شديداً ، أمح الجرح كمنع : آشتد ألمه ، وجرحه : أصابه بسلاح أو غيره ، ومنه الجرح والجارحة ، كدح يكدح كدحا : السعي والكد والحرص الشديد[20] ، وبه فسر قوله تعالى : ﴿ يأيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه[21]» إلى غير ذلك من الأمثلة التي تبدو فيها قوة (الحاء) واضحة جلية ، ومن ذلك قوله بقوة الصاد في قصم ، أي كسر وفصل ، من غير أن يلاحظ ما في الصاد من ضعف في أمثلة كثيرة منها : قصم[22] مثل كتف : الرجل الهياب الضعيف ، والسيف المنكسر ، القصيم : العتيق من القطن ، قصم بفتحتين : بيض الجراد ، القصيمة : الأرض السهلة ، القيصوم : نبات طيب الرائحة . .

هذا ؛ وقد بقي في كلام ابن جني في خصائصه الكثير مما يحتاج إلى النظر والدراسة والمناقشة ، لأنه كان أكثر من سبقوه تفصيلاً لهذه الظاهرة اللغوية ، وعسى أن يكون ما قدمته من أمثلة يعطي صورة ولو موجزة عن رأي هذا العالم اللغوي الشهير حول الصلة بين اللفظ والمدلول . .

ويفصّل السيوطي وهو من علماء القرن العاشر الهجري في كتابه المزهر[23] إجماع

---

(20) تاج العروس مواد : أشح ، أمح ، جرح كدح .
(21) سورة الانشقاق : الآية6 .
(22) تاج العروس مادة : قصم .
(23) المزهر للسيوطي ، ج 1ص 47 .

اللغويين على الصلة بين اللفظ والمعنى تبعاً لابن جني ، ويلخص مذاهب اللغويين السابقين لعصره حول هذه الظاهرة من غير أن يبدو له رأي واضح في تلك المذاهب ، يمكن تسجيله أو دراسته ، وإن كان نقله الإجماع يعتبر إضافةً مهمة تستحق العناية والاهتمام وتأكيداً لصحة تلك الظاهرة في كثير من الألفاظ التي سجلناها أثناء هذا البحث . .

وإذا تركنا العصر القديم الذي حفل كما رأينا بالبحوث في دلالات الألفاظ ، واتجهنا بالبحث إلى العصر الحديث ، فإننا نجد طائفة من اللغويين العرب قد تناولوا بالدراسة موضوع الصلة بين اللفظ والمدلول ، مستعينين ببحوث من سبقهم من العلماء العرب أمثال سيبويه وابن جني وابن فارس وغيرهم ، وبالدراسات اللغوية الحديثة التي صدرت عن بعض الكتاب الأجانب المتخصصين في الدراسات الصوتية واللغوية ، وأخص بالذكر ؛ الدكتور صبحي الصالح في كتابه[24] (دراسات في فقه اللغة) الذي يبدي إعجابه بظاهرة الصلة ويعدّها فتحاً مبيناً في الدراسات اللغوية ، ومرجعه في ذلك الخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي ، والدكتور عبده الراجحي في كتابه[25] (فقه اللغة في الكتب العربية) الذي عبر عن شكه في صحة هذه الظاهرة ، رغم توفر البحوث في أصولها ونشأتها قديماً وحديثاً ، وتأكيد صحتها في كثير من الألفاظ أفعالاً كانت أو مصادر أو أسماء ، مؤيدة كلها بالملاحظة والدراسة والتجربة ، بل إنه ذهب إلى القول بأن الكثير من أهل اللغة قد أنكروا هذه الظاهرة ، رغم أن كلاً من آبن جني والسيوطي قد نقل إجماع اللغويين عليها . .

وفي طليعة اللغويين المعاصرين الذين تناولوا فكرة الصلة بين اللفظ والمدلول في بحوثهم الدكتور إبراهيم أنيس عضو مجمع اللغة العربية الذي ألف كتاباً قيماً أسماه[26] (دلالة الألفاظ) خلص فيه إلى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مكتسبة ، وأنها خاضعة للظروف الطبيعية في كل بيئة ، وتطور الانسان في تلك البيئات ، مؤيداً ما ذهب إليه بأدلة قد بسطها في كتابه المذكور .

هذا ؛ ورغم تقديرنا لكتاب الدكتور أنيس في بابه فلا أحسب أني أجاوز

---

(24) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ص/ 150 .

(25) فقه اللغة في الكتب العربية للدكتور عبده الراجحي ط دار النهضة ص 65 .

(26) دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص 75 ط 4 مكتبة الانجلو المصرية .

موضوع البحث حين أعرض لبعض الملاحظات عليه ، ذات العلاقة الوثيقة بالدراسة وذلك فيما يلي :

1 ـ من ذلك رأيه أن الصلة بين اللفظ والمعنى فكرة ورثها العلماء العرب عن فلاسفة اليونان أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو[27] وغيرهم من الذين لاحظوا صلة ما بين بعض الألفاظ ومعانيها في لغتهم ، في حين أننا لا نجد أي إشارة لهذا الرأي في كتب اللغويين العرب القدامى والمعاصرين منهم على السواء ، أمثال ابن جني في خصائصه وابن فارس في كتابيه الصاحبي ومعجم مقاييس اللغة ، وابن دريد في الاشتقاق والسيوطي في المزهر ، والدكتورين الصالح والراجحي في كتابيهما المذكورين ، الأمر الذي يضعف الأخذ بهذا الرأي والاعتماد عليه في مجال الاحتجاج والتوثيق التاريخي لهذه الفكرة اللغوية . .

وقد أشرت في بداية هذا البحث إلى أن العلماء العرب قد تأثروا في بحوثهم حول فكرة الصلة بعوامل شتّى ، أبرزها القرآن الكريم وألفاظه الموحية بمعانيها تمام الإيحاء ، ولسنا نستكثر على عبقرية عربية فذة ، وعقلية نادرة مثل الخليل بن أحمد[28] أن يهديه تفكيره إلى الصلة بين بعض الألفاظ ومعانيها في لغة العرب ، وهو صاحب الفضل الأول في اختراع أوزان الشعر وكتابه العين الذي لا يزال شاهداً على سعة علمه ودقة حسه وعجيب ذكائه . .

2 ـ في حديثه عن تطور الدلالة ، سار بهذه الكلمة (تطور)[29] سيراً عكسيّاً من أعلى إلى أسفل ، فاستشهد بكلمات استعملها العرب الفصحاء في معاني محددة ثم هبطت مع الزمن والبعد عن الفصحى لتستعمل في العامية المحلية في معاني أخرى ، مثل الفعل (باخ) بمعنى سكن في الفصحى إلى (بايخ) بمعنى ثقيل في العامية ، وكذلك فعل (بصّ) أي برق ولمع في الفصحى إلى (بصّ) أي نظر في العامية ، وألفاظ أخرى . .

3 ـ في حديثه عن انحطاط[30] الدلالة استشهد بكلمة (كرسيّ) التي انحطت

---

(27) المصدر السابق ص 62 .
(28) بغية الوعاة للسيوطي ج 1 ص 507 .
(29) دلالة الألفاظ ص 124 .
(30) المصدر السابق ص 156 .

معناها من استعمالها الأصلي في (العرش) إلى استعمالها العرفي في كرسيّ الجلوس ، في حين أن كلمة (كرسيّ) قد وردت في اللسان والتاج في مادة (كرس) بمعنى العلم والقدرة والملك ، من غير إشارة إلى استعمالها في معنى العرش ، وعلى فرض استعمالها أصلاً في العرش فإنها تدخل في المشترك اللفظي ، أي اللفظ الواحد للمعاني المتعددة ، الذي لا مجال لإنكاره في اللغة العربية . .

4 - في تفسير المعاجم العربية للفظة (أُميّ[31]) التي من معانيها : « غير العارف بالقراءة والكتابة ، والجلف الجافي » فإن الدكتور أنيس لا يستسيغ التفسير المعجمي الثاني لهذه اللفظة ، بحجة أن النبي صلوات الله عليه وسلامه قد وصف بها . . ونحن نعلم أن لألفاظ الاشتراك والتضاد في العربية من القرائن والمرجحات التي تحدد معنى كل لفظ تحديداً دقيقاً، ما لا يخفى على أحد من دارسي اللغة فضلاً عن علمائها والمحيطين بأسرارها . . فحيثما ذكرت كلمة (أميّ) وصفاً للنبي ﷺ كان معها من القرائن والمرجحات ما يصرفها عن معنى القسوة وجفاء الطبع . .

فلفظة (الخمر)[32] مثلاً توحي عند إطلاقها بمعناها المؤذي وأثرها الضار وطعمها الكريه ، بينما توحي نفس اللفظة مع القرائن المرجحة والمحددة للمعنى المراد بمفهوم جميل وطعم محبب ، يظهر ذلك جلياً في قوله تعالى عند ذكر أوصاف الجنة يوم القيامة : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾[33] .

فلولا الاشتراك والتضاد في اللغة ما أفاد اللفظ الواحد هذه المعاني المتفاوتة والمتقابلة أحياناً . . فليس الاعتراض إذاً على التفسير المعجمي للفظة (أميّ) بموضوعي يمكن التعويل عليه . .

خاتمة البحث :

يجمل بنا بعد هذا العرض أن نسجل بعض الملاحظات والنتائج ، خاتمة لهذه الدراسة في الصلة بين اللفظ والمعنى وذلك فيما يلي :

---

(31) المصدر السابق ص (187) .
(32) التاج ، مادة : خمر .
(33) سورة محمد : الآية 15 .

1 ـ يلحظ القارىء أنه قد روعي في تناول هذا الموضوع اللغوي أوضح الطرق وأقربها اتصالاً به دون الاعتماد على النظريات الفلسفية والمنطقية والكلامية التي ندعو إلى تخليص اللغة منها تيسيراً لفهمها ودراستها وتعميمها بين الناس .

2 ـ إن بين بعض الألفاظ ومعانيها صلةً قويةً وارتباطاً وثيقاً ، وأن بعض الألفاظ هي أدل على معانيها من البعض الآخر ، حيث يراها الخليل في الأفعال ويراها سيبويه في المصادر ، ويراها آبن جني في الأفعال والمصادر معاً، وأنا لاحظتها إضافة إلى جميع ذلك في الأسماء ذات المدلولات المحددة .

3 ـ سجل أثناء البحث إضافة إلى الألفاظ المتداولة الفاظاً أخرى ، تعدّ في هذا العصر غريبة بعض الغرابة ، وذلك وصلاً للقارىء بلغته العربية وكنوزها الغنية .

4 ـ كان العلماء العرب في مقدمة المهتدين إلى العلاقة بين اللفظ والمدلول ، وفي طليعتهم الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى .

5 ـ حوى البحث مناقشات لبعض الآراء اللغوية الصادرة عن الباحثين القدامى والمعاصرين في موضوع الدلالة بالذات ، توخياً للحقيقة العلمية ، وفتحاً للباب أمام الباحثين في هذا اللون من الدراسات اللغوية ، وما توفيقي إلا بالله العليّ العظيم . .